الفصل الخامس

علم النفس الاجتماعى

موضوعه : اتجه البحث منذ عهد قريب إلى دراسة الإنسان من حيث هو كائن حى يعيش فى بيئة اجتماعية وعليه أن يتكيف مع هذه البيئة ، ومع من يتعامل معهم من أفراد آخرين بوجه خاص ، وهو فى تعامله مع الأفراد الآخرين إنما يتأثر بهم ويؤثر فيهم ، وينشأ بينه وبينهم علاقات مختلفة قد تكون قوية متماسكة وقد تكون ضعيفة مفككة ، وعلم النفس الاجتماعى إنما يدرس تفاعل الفرد مع الأفراد الآخرين ، أى يدرس الفرد حين يتأثر بالأفراد الآخرين ، وحين يؤثر فيهم وبمعنى آخر يدرس سلوك الفرد مع الأشخاص الآخرين واستجابته لهم ، سواء أكان هؤلاء الأشخاص مجتمعين أم متفرقين، أى أنه العلم الذى يعنى بالدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث تأثره بسلوك الأفراد الآخرين ومن حيث تأثيره فيهم .

وعلم النفس الاجتماعى يتناول بالدراسة العلاقات الاجتماعية ، كما أنه يدرس كذلك المؤثرات الاجتماعية المختلفة التى تؤثر على الأفراد منذ الطفولة الأولى . فالطفل يولد مزوداً بقدرات واستعدادات فطرية تدفعه إلى النمو والسلوك ، والمجتمع هو الذى يصبغ سلوكه بالصبغة الاجتماعية . فالطفل فى أثناء تنشئته الاجتماعية يتأثر بالعادات والمعتقدات والاتجاهات السائدة .

وعلم النفس الاجتماعى يتناول هذا كله بالدراسة لما له من تأثير كبير على سلوك الأفراد ، فنجاح الفرد وفشله فى سلوكه الاجتماعى يعتمد إلى حد كبير على الثقافة القائمة وعلى نوع التنظيم الاجتماعى الذى يهيمن على حياته .

وقد حصر Kantor أهم تعاريف علم النفس الاجتماعى فيما يلى :

١ — دراسة الجمهرة وظاهرة التجمع .

٢ — دراسة الحياة الاجتماعية .

٣ — دراسة القوى والمؤثرات الاجتماعية .

٤ — دراسة سلوك الفرد فى استجابته لسلوك فرد آخر .

٥ — دراسة السلوك الفردى داخل إطار الجماعة .

علاقة علم النفس الاجتماعى بالعلوم الأخرى :

إن علم النفس الاجتماعى — كعلم أساسى — لا يختلف فى أى أساس من أسسه الجوهرية عن علم النفس العام وتتضح هذه الذاتية بين علم النفس الاجتماعى وعلم النفس العام إذا عرفنا أن هدف علم النفس الاجتماعى هو (دراسة السلوك الاجتماعى للفرد) إلا أننا إذا أردنا أن نفهم هذا السلوك الاجتماعى كان لزاماً علينا أن نفحص الطرق الأساسية مثل : كيف يحقق الفرد أغراضه الاجتماعية ؟ كيف يدرك بيئته الاجتماعية ؟ كيف يتعلم سلوكه الاجتماعى ؟ .

ونلاحظ أن مبادىء (الدافع الاجتماعى) و (الادراك الاجتماعى) و (التعلم الاجتماعى) متطابقة مع مبادىء الدافع والادراك والتعلم التى يعنى علم النفس العام بدراستها .

فالمبادىء والقوانين العامة التى نفسر بها السلوك الاجتماعى للفرد هى نفسها المبادىء والقوانين التى يعنى بدراستها علم النفس العام .

كما أن علم النفس العام مثل علم النفس الاجتماعى كلاهما مضطر إلى أن يدرس سلوك الفرد ككائن اجتماعى ، أى يدرس الفرد من حيث هـــو موجود فى بيئة اجتماعية ويتأثر بمختلف المؤثرات الاجتماعية .

فما من ظاهرة من الظواهر النفسية العامة إلا ويدخل فى نشأتها وتطورها عوامل اجتماعية ، فالاختلافات الحضارية تؤدى إلى إختلافات جوهرية فى تكوين الشخصية .

وهناك صلة وثيقة بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع . فبينما نجد علم

النفس الاجتماعى يعنى بدراسة السلوك الاجتماعى للفرد ، نجد علم الاجتماع يعنى بدراسة المجتمع ومقوماته ومشكلاته فيهتم بدراسة الجمهرة والأسرة وغيرها من المنظمات الاجتماعية ، كما أنه يعنى فى دراسته هذه بالمؤثرات المختلفة التى تؤثر فى سلوك الأفراد . كذلك الحال فى علم النفس الاجتماعى فإنه يعنى بدراسة تأثير الجماعة والمؤثرات المختلفه فى سلوك الأفراد .

وهناك صلة وثيقة كذلك بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاقتصاد والسياسة وعلم الأجناس البشرية والطب العقلى ، فهذه العلوم كلها تدور أبحاثها حول الإنسان مما أدى إلى وجود تشابه وصلة وثيقة بينها .

أهمية علم النفس الاجتماعى :

علم النفس الاجتماعى يعنى بكل نوع من أنواع السلوك الفردى فى المجتمع حين يتأثر بالأفراد الآخرين وحين يؤثر فيهم . وينشأ بينه وبينهم علاقات اجتماعية مختلفة ، وإذن فنماط البحث فى علم النفس الاجتماعى هو العلاقات الاجتماعية .

ومستقبل الحضارة الإنسانية فى عصر كثر فيه التنازع وتقدمت فيه وسائل التخريب والدمار حتى أمست تهدد بفناء النوع الإنسانى ، رهين بفهم تلك العلاقات فهماً علمياً دقيقاً ورهن بتوجيه تلك العلاقات توجيهاً سليماً متناسقاً أى أنه رهن بتقدم علم النفس الاجتماعى فى بحثه الدائب المستمر نحو استجلاء كنه عناصر الخير والشر فى علاقات الإنسان الاجتماعية .

كما أن علم النفس الاجتماعى يعالج كثيراً من مشاكل العالم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى .

السلوك الاجتماعى للفرد

أن أهم ما يعنى به علم النفس الاجتماعى هو السلوك الاجتماعى للفرد ، ولأجل أن تفهم سلوك الفرد الاجتماعى لابد أن تدرسه كقوة فعالة فى مجالها الاجتماعى ، فالانسان يولد فى المجتمع والحاجة إلى المجتمع تولد فيه ، والمجتمع تأثير كبير على

سلوك الأفراد ، فالفرد يأتى إلى المجتمع مزوداً بقدرات فطرية تدفعه إلى النمو والسلوك ، والمجتمع هو الذى يصبغ هذا السلوك بالصبغة الاجتماعية — ويقول (Trotter) تروتر أن الطابع النفسى الجماعى يتجلى واضحاً فى مسلك الإنسان سواء كان فى الجموع وفى غيرها من أحوال التجمع الفعلى فى مسلكه كفرد مهما بلغت درجة عزلته ، والفرد حينما يلاحظ نفسه وهو فى وسط جماعة ما . فإنه يجد أن صوته يرتفع بالصياح أو بالضحك أو بالبكاء بصورة لا يرتضيها لنفسه إذا كان منفرداً ، وكذلك الأفراد وهم فى الجمهرة يقومون بأفعال كالتخريب والتدمير ما كان لهم أن يقوموا بها وهم فرادى والسبب فى ذلك كما يرى (جوستلى ليبون) هو شعور الأفراد بالقوة حينما يكونون فى الجماعة ، وكذلك عدم تحديد المسئولية فى حالة الجماعات المتجمهرة ، فالتجمهر أو الجماعة البدائية يؤدى إلى اشتداد الانفعالات ويعطل العقل . فالفرد فى الجمهرة تكون مشاعره وإدراكاته تابعة للجماعة ، وتكون الجماعة بمثابة القائد الذى يوجه سلوكه ومشاعره وإحساساته وانفعالاته ، ويرى ليبون كذلك أن للجماعات عقلا هو العقل الجمعى ، والعقل الجمعى يختلف عن عقل كل فرد من الأفراد ، ويرى أن عقلية الجماعة أحط من عقلية الفرد ، إلا أنه يلاحظ أن هناك فارقا بين ظواهر الجمهرة المؤقتة (أو الجماعة غير المنظمة) التى يصفها ليبون وبين تلك الجماعات الثابتة أو الجماعات الأكثر نظاماً وتجانساً ، فإذا اجتمع عدد من المهندسين أو عدد من الأطباء فإنه يمكن أن ترتفع عقلية الجماعة إلى مستوى يعلو كثيراً جداً عن مستوى عقلية أى فرد منهم وهذا ينشأ من اشتراك الجميع فى الاهتمام بموضوعات واحدة تتصف بالرقى ، وينشأ كذلك من حرص كل فرد على أن يبرز على الآخرين فى هذا الميدان ، وهذا يؤدى إلى تنشيط لا تؤدى إليه الحالات الانفرادية ، وقد دلت التجارب التى قام بها علماء النفس أن إنتاج الفرد يزداد إذا عمل فى جماعة عما لو عمل بمفرده ، وهذا ما تدل عليه تجارب (لورنز) على العمال فى المصانع فقد وجد أن إنتاج الجماعة المتعاونة يزداد ٤٠ ٪ عن إنتاج الأفراد .

والأفراد فى الجماعة لا يعدلون أعمالهم تبعاً للجماعة فقط ولكنهم يعدلون آراءهم وأحكامهم تبعاً لمعيار الجماعة كذلك . فقد دلت تجارب علماء النفس أن

الأفراد يميلون عادة إلى التوسط والاعتدال فى أحكامهم حينما يكونون فى جماعة ، فقد طلب (ألبورت) من بعض الأفراد الحكم على بعض الروائح ، تارة وهم منفردون وتارة أخرى وهم مجتمعون فوجد أن الأفراد يتجنبون الأحكام المتطرفة وهم مجتمعون مثل زكية جداً وكريهة جداً بينما ظهرت هذه الأحكام وهم فرادى ، وسلوك الفرد الاجتماعى يتأثر بالعلاقات الاجتماعية التى تنشأ نتيجة لوجوده فى الجماعة . والعلاقات الاجتماعية يختلف عددها باختلاف حجم الجماعة ، فالجماعة المكونة من اثنين كالزوج والزوجة أو صاحب العمل والعامل تتلخص علاقاتهما الاجتماعية فى تأثر فرد بفرد آخر ، وفى تأثيره فيه ، وفى الجماعة المكونة من ثلاثة أشخاص لا تقل العلاقات عن ست علاقات ، ومن أهم العوامل التى تحقق الوحدة والانسجام والتجانس بين أفراد المجتمع قابلية هؤلاء الأفراد للاستهواء والمشاركة الوجدانية وللتقليد ، فالجماعة تميل عن طريق الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد إلى التجانس مما يؤدى إلى زيادة الوحدة فى الجماعة ، واكتمال هذه الوحدة يؤدى إلى ما يسمى بالشعور الجمعى ويقصد به أن يشعر كل فرد بالانتماء للجماعة ، وأن يشعر كذلك بأنه يشترك معها فى الفكر والوجدان وفى العمل (أى النزوع) .

التفاعل الاجتماعى :

إن القوى التى تؤدى إلى التنظيم الجماعى توصف عادة تحت عنوان عمليات التفاعل الاجتماعى ، وأن الناس فى كفاحهم للوصول إلى أهدافهم لا يقومون بمعارك فردية موجهة إلى عدو غير بشرى ، ولكنهم يحاربون بعضهم البعض ، وجهودهم فى سبيل تحقيق التوافق هى بوجه عام جماعية إلى حد ما . فهم قد يتعاونون لسرقة عدو أو يحمون أنفسهم ضد عدو جشع ، حتى أن الناس الذين يغلب عليهم الطابع الفردى يقومون ببعض أوجه نشاطهم فى جماعات متعاونة .

ومن أهم مظاهر التفاعل الاجتماعى عملية الاندماج فى الحياة الاجتماعية تلك العملية التى تطبع بها المادة الخام للطبيعة البشرية فى أنماط ثقافية منوعة ويرى Murphy & Newcomb (ميرفى ونيوكم) أن عملية الاندماج فى الحياة الاجتماعية بالنسبة لعلم النفس الاجتماعى تعد محور المادة الدراسية لعلم النفس الاجتماعى .

عمليات التفاعل الاجتماعى :

يمكن أن نميز بوجه عام بين أربع عمليات للتفاعل الاجتماعى ١ ــ الصراع ٢ ــ التعاون ٣ ــ التنافس ٤ ــ المواءمة .

ويتميز الصراع عن التنافس فى أنه فى حالة الصراع يوجه الأفراد طاقتهم نحو هدم أعدائهم أو ايذائهم ، أما فى التنافس فغالباً ما يتبعون سبلا متوازية من العمل موجهة نحو نفس الهدف المشترك وذلك بقصد الوصول إلى الهدف أولا أو الحصول على أكبر قدر منه ، وفى التنافس الصادق بين فريقين يجب أن يتفق الفريقان على قواعد السباق ، أما التعاون فلا يتضمن الدوافع الغيرية وإنما هو يصف مجهودا متناسقاً متصلا بين فردين أو أكثر ، والمواءمة تشير إلى إنهاء الصراع إما عن طريق اخضاع فريق للآخر مما يترتب عليه فرض علاقة السيد والعبد أو عن طريق ايجاد حل وسط . وفى بعض الأحيان تميز (توصف) المجتمعات بأنها متنافسة أو تعاونية أو فردية النزعة ، ولكن فى الواقع نجد أن العمليات الأربع للتفاعل الاجتماعى (الصراع والتنافس والتعاون والمواءمة) تظهر فى كل مجتمع ولو أن العملية الغالبة قد تختلف .

وحتى هذه العمليات الديناميكية كقاعدة عامة تتحدد فى صورة مستويات وأنماط معينة .

التأثيرات المختلفة لعضوية الجماعة :

أولا ــ آثار المناقشة الجماعية :

أولا ــ أهتم كثير من المجربين بدراسة آثار المناقشات الجماعية حول مشاكل واقعية وحول حلول المشاكل العقلية ، إن قانون الانجلو ساكسون يعتمد على الجماعة فى تقدير الحقائق فى محاكمة جنائية ، والنظرية فى ذلك هى أن المناقشة والمداولة بين اثنى عشر شخصا تتمخض عن حكم أكثر صدقا من تقدير شخص واحد ، فضلا عن أن هذه المناقشة ستساعد فى الوصول إلى تقرير الصدق .

ولقد تناولت التجارب على آثار المناقشة الجماعية أربع مشاكل :

١ — كيف تؤثر المناقشة فى دقـــة وكفاية الحكم عـــلى ادراكات أفراد الجماعة .

٢ — كيف تؤثر على دقة أحكامهم فى تقدير شهادة الآخرين .

٣ — كيف تؤثر على حل المشا كل العقلية .

٤ — كيف تؤثر على أحكامهم الاجتماعية حول مشا كل خاصة بالقيم .

قارن G. B. watson بين تعاون الجماعة وبين الأداء الفردى فى أعمال تتنوع فى الصعوبة من فهم الجمل إلى كشف مفتاح الشفرة وقد عملت صور أخرى لكل الأعمال بنفس درجة الصعوبة حتى يمكن أن يعالجها الفرد نفسه أولا بمفرده وثانياً فى لجنة أو جلسة مناقشة وثالثاً بمفرده مرة أخرى وقد ثبت تفوق الطريقة الجمعية فى كل الأعمال بالقياس إلى متوسط الأداء الفردى وكان الاختلاف ضئيلا جداً فى اختبار الفهم ولكنه كبير فى حل مسائل تكميل الجمل .

ثانياً : تأثيرات الجماعة على الإنتاج الفردى وأثر النظام الاجتماعى السائد على سلوك الفرد وحياة الجماعة .

يمكن اعتبار (الشعور بالنحن) وانعكاسه فى التعبير اللغوى للشخص أوضح مظهر للتكامل الاجتماعى بين أعضاء جماعة معينة . ويندر أن يوجد من الناس من يستطيع مواصلة الحياة السوية دون دخول فى نحن ، وأوضح ما يكون هذا الشعور داخل الجماعات التى يطلق عليها كو فكا (K.koffke) إسم الجماعات السيكولوجية ومن أمثلتها جماعة من الأقارب المنتشرين فى بلاد مختلفة ويتواصلون بالرسائل أو بأية وسيلة أخرى أو أشخاص يعملون فى سبيل قضية واحدة ويصف (C.H.Cooley) سلوك الأفراد داخل هذه الجماعات بقوله « إن النتيجة النفسية للارتباط الوثيق هى نوع من الامتزاج بين الأفراد فى كل مشترك بحيث نجد أن ذاتها نفسها تصبح هى الحياة المشتركة للجماعة ، ويصدق هذا على الأقل بالنسبة لبعض أهدافنا . وربما أيسر الطرق لوصف هذا الكل أن نقول إنه نحن فهو يتضمن ذلك النوع من التعاطف والتقمص المتبادل الذى تبرز النحن بمثابة تعبير طبيعى عنه ، فالفرد يعيش فى الشعور بالكل ويجد الأهداف الرئيسية لإرادته

ماثلة فى هذا الشعور : ويتألف المجتمع من عدد من المجتمعات السيكولوجية بحيث يمكن اعتبار هذه الجماعات هى الوحدات الديناميكية الأولية فى البناء وتتفاوت درجة التكامل ودرجة الشعور بالنحن فى هذه الجماعات السيكولوجية تبعاً لعدة عوامل ، فالجماعات السيكولوجية التى تتألف من الزوج وزوجته تسمح بدرجة من الاقتراب والتفاعل — فى حالات الزواج الموفق . وكثيراً ما تسمح به جماعات الصداقة كما أن الجماعات التى تتألف لخدمة قضية معينة قد تفوق فى درجة التكامل بين أعضائها ما تحققه الجماعات الأسرية وجماعات الصداقة ولسنا فى حاجة لإبراز أهمية هذه الجماعات فى بناء المجتمع البشرى فهى ليست شيئاً عابراً ولا وليدة ظروف خارجية بحيث يمكن أن تزول بزوال هذه الظروف . وقد أجريت بعض البحوث الحديثة للكشف عن عمق آثارها فى الفرد وقد أورد (Mayo.) مثالا على ذلك حالة عاملين فى أحد المصانع رفضا الترقية وزيادة الأجر لأن القبول كان يحتم عليهما الانتقال إلى قسم آخر فى المصنع وترك جماعتهما التى تكونت حولها من خلال العمل . كما لاحظ غيره من الباحثين . (L. N. whitehead) أن التنوع فى الانتاج داخل المصنع يعتمد على التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعة فى حين أن التغييرات الجوية وتغيير ساعات العمل يكون تأثيراً تافهاً نسبياً . وقد انتهى إلى هذا الرأى بناء على ملاحظات أجراها على خمس عاملات فى أحد المصانع بشيكاغو ، عزلن عن زملائهن فى العمل لمدة خمس سنوات . وهو يقرر أن التغير فى الانتاج يتناول الكم والكيف . وقد أجريت عدة تجارب لبيان أثر النظام الاجتماعى السائد فى الجماعة على سلوك الفرد وإنتاجه وتبين أن الجماعة التى يسودها النظام الديمقراطى بحيث يسمح للأفراد بالتعبير عن آرائهم بحرية دون ضغط أو كبت أكثر إنتاجاً على المدى الطويل كما أن أسلوب الأفراد يتسم بالثبات والاعتدال وقلة الاعتداء ، بينما فى الجماعة الدكتاتورية يتسم السلوك بالميل إلى الاعتداء وقلة الانتاج إذا فقد الدافع الذى يدفعهم للعمل ، وكذلك الحال فى الجماعات الفوضوية التى لا تشعر بانتمائها إلى جماعة وإلى وجود هدف مشترك يجمع هذه الجماعات نحو الهدف .

الأسس التى يمكن بمقتضاها تقسيم الجماعات

تعريف الجماعة :

١ — يعرف كرتش وكرتشفيلد الجماعه بأنها شخصان أو أكثر توجد بينهم علاقة سيكولوجية صريحة .

٢ — ويعرف كاتل Cattel الجماعة بأنها مجموعة من الكائنات يستخدم تواجد الكل فيها فى إشباع بعض حاجات كل منهم .

٣ — ويعرف نيوكمب Newcomb الجماعة بأنها شخصان أو أكثر يشاركان فى المعايير المتصلة بموضوعات معينة . وتشابك أدوارهم الاجتماعية تشابكاً وثيقاً . أى أنه فى نظر نيوكمب لا تقوى الجماعة إلا إذا كان الأفراد يشارك بعضهم البعض الآخر فى معايير معينة ، ويستطيع أن يتوقع كل منهم سلوك الآخر توقعاً واضحاً إلى حد كبير أو قليل .

ويرى Guilford جيلفورد أن الناس يجتمع بعضهم مع بعض على أساس :

١ — ظرف موضوعى مشترك مثل المسكان الجغرافى أو الدخل المادى .

٢ — الاشتراك فى مجموعة من القيم أو الاتجاهات مثل معتقدات المحافظين أو الأحرار .

٣ — القيام بأعمال أو أدوار سلوكية متماثلة مثل العمل فى مصنع .

٤ — الشعور المشترك بالانتماء مثل شعور طلبة الجامعة بأنهم والجماعة التى تضمهم شىء واحد .

أنواع الجماعات

الجماعات الثابتة :

أولا : الأسرة : الأسرة وحدة اجتماعية صغيرة تحدث فيها استجابات الطفل الأولى نتيجة التفاعلات التى تنشأ بينه وبين والديه وإخوته . فللأسرة وظيفة

اجتماعية هامة إذ هى العميل الأول فى صبغ سلوك الطفل صبغة اجتماعية .

تتكون الدعائم الأولى للشخصية الانسانية فى جو الأسرة فى مرحلة الطفولة .

وتعمل العلاقات الأسرية على تطبيع الطفل وتنشئته على الخصائص والسمات الاجتماعية السائدة فى الأسرة . والأسرة وظيفة أخرى تنحصر فى نقل التراث الحضارى إلى الطفل فعن طريق الأسرة يكتسب الطفل الكثير من العادات ، فيتعلم كيف يأكل بطريقة يقرها المجتمع ، وكيف يخاطب من هم أكبر منه سناً ، ويتعلم الكثير من العقائد والمخاوف والأفكار التى تدل على التسامح والتعصب .

ثانياً : جماعة النادى : Club Type Society

أطول فى العمر وتمتاز بوجود علاقة داخلية بين أفرادها ، ويمتاز كذلك بوجود غرض أو مجموعة مشتركة من الأغراض ، ويتصف بشىء من الثبات والاستقرار ، وتجد الأفراد فى مثل هذا النوع من الجماعات عواطف وذكريات. ومن أمثلة هذه الجماعات اتحادات المهن المختلفة وأندية خريجى المعاهد المختلفة . ونجد أن أفراد أمثال هذه الجماعات يشعرون بالتجانس ويجتمعون لتقوية هذا الشعور ، ويجتمعون كذلك لتحقيق أهداف مشتركة .

ثالثاً : جماعة الطائفة : Comunity Type Society

يدخل فى هذا النوع فكرة الوطن . فتزعزع كيان الوطن يزعزع كيان الفرد بصورة واضحة ونجد أن ذكريات هذا النوع من الجماعات وعواطفه تكون بعيدة وعميقة . فذكرياته تتمثل فى تاريخ الأمة بأسرها ، فكأن هذا النوع يتصف بوجود الميول العامة المشتركة ، ويتصف بالثبات والاستقرار ويتصف بوجود الذكريات الثابتة القديمة والعواطف القوية والأهداف الحيوية الهامة ويزداد التفاعل والاتصال بين أفرادها .

الجماعة غير الثابتة : جماعة الجمهرة : Crowdtype Soeiety

أما الجماعة غير الثابتة فإنها غالباً ماتنشأ لسبب عارض كاجتماع الناس فى الطريق العام لمشاهدة حادث ما . وسرعان ما ينفض شمل الجماعة ويمضى كل فرد إلى

وجهته التى كان يسعى إليها من قبل . والجمهرة جماعة يؤلف بينها شعور واحد لكنه شعور سطحى مؤقت يتولد بسرعة ويزول بنفس السرعة التى برغ بها . وليس لهذا النوع من الجماعات وحدة اجتماعية قوية تربطها ، فأهدافها قريبة وعواطفها سطحية وذكرياتها معدومة .

ويتباين عدد أفراد الجمهرة من الحفنة القليلة من الناس ، إلى الحشد الضخم . وتختلف الاستجابة العاطفية للجمهرة من تخريب وصياح إلى فزع وخوف إلى غير ذلك من الاستجابات المختلفة . فالجمهرة الثائرة تختلف فى استجاباتها عن الجمهرة التى تجمعت فوق سطح باخرة توشك أن تغرق .

والجمهرة وحدة اجتماعية تمايز عن بقية أنواع الجماعات بصفات مشتركة أهمها :

١ ــ تشابه الاستجابات : فالمتجمهرون فى مظاهرة ما يسلكون سلوكا متشابها ، فاستجاباتهم متشابهة مشتركة رغم اختلافها الظاهرى .

٢ ــ وحدة الدافع والمثير : يصدر تشابه الاستجابات من دافع واحد مشترك ، فالجمهرة كلها تهدف فى نفس الوقت إلى غرض واحد . وقد يكون الغرض واضحا محددا وقد يكون عاما غامضا .

٣ ــ العاطفة الجارفة : الدافع القوى الحاد يتصل من قريب أو من بعيد بعاطفة جارفة هوجاء تهيمن على أفراد الجمهرة كافة . وبذلك فكل سلوك يصدر عن الجمهرة يصطبغ بشحنة انفعالية قوية تسفر عن نفسها فى ثورة الأفراد واضطرابهم .

٤ ــ حطة الذكاء : سلوك الأفراد فى الجمهرة يدل على غباء وحطة ، فليس على كل فرد فى الجمهرة أن يدرك بوضوح سلوكها وإنما هو ينساق معها عاطفيا لا عقليا .

فالتوتر الشديد يساعد على ثورة الجماهير ويؤدى إلى انفعال حاد وعاطفة جارفة تزيد من قوة الجمهرة الغضبى لتحقق بذلك هدفها ، وحدة هذا الانفعال تشل القوى الإدراكية العليا . فتنطلق الجمهرة فى ثورة الحمى وصياح الأطفال .

٥ ــ أحكام الجمهرة نهائية لا رجعة فيها : النقد الجارح يؤدى إلى الانقسامات

الداخلية ومعارضة فريق لفريق آخر وهذا يتنافى مع قوة الجمهرة فى سيطرتها المطلقة على أفرادها ، إذ هم ينساقون فى مجالسها وكأنهم دمى تحركهم يد غير منظورة .

٦ — القابلية للاستهواء : الأفراد فى الجمهرة يخضعون للاستهواء فى سهولة ويسر لضعف روح النقد ولانحطاط الذكاء ، فكل رغبة طارئة وكل فكرة عابرة تستهوى الجمهرة طالما أن تلك الرغبات والأفكار لا تتعارض وملابسات الموقف العام الذى يشمل المتجمهرين عامة .

٧ — ضعف الشعور بالمسئولية الفردية : سلوك الجمهرة يتصف بالرعونة والطيش ، ولو كان الفرد بمعزل عن الجمهرة لراجعته نفسه فيما يفعل ولأحجم بشدة عما يأتيه وهو منساق مع التيار العام للجمهرة ومرجع ذلك كله ضعف شعور الفرد بمسئوليته .

الجمهور : The public

الجمهور هو مجموعة من الأفراد يجمع بينهم ميل أو اتجاه أو عاطفة مشتركة . ولا يمكن عمليا حصر عدد الجماهير ، إذ أن هناك من الجماهير الممكن وجودها بقدر ما هناك من ميول واتجاهات بشرية .

والعلاقة التى تميز جمهوراً هى الاتجاه إلى قبول مصدر إثارة مشترك أو الخضوع له ويكون هذا الاتجاه عاما لدى كل الحاضرين تقريباً . هذا وقد يكون المصدر العام للاثارة قائدا أو برنامجاً إذاعياً ، أو موضوع رغبات مادية للناس . ونجد التفاعل المتبادل بين أعضاء الجمهور قليلا . وأن لمجموعة الأعضاء أثراً كبيراً فى زيادة ولاء كل منهم للجماعة ، إلا أنه ينقصها الأخذ والعطاء بين الأعضاء .

والجمهور جماعة غير دائمة نسبياً . إذ أنها تتنافس مع كثير من الجماعات المماثلة فى الاستحواذ على وقت نفس الأشخاص وتأييدهم ، فأى واحدة منها قد تختفى بسرعة مفاجئة . حقيقة أن بعض الجماعات من هذا النوع قد تدوم لكنها فى المتوسط لا يطول بقاؤها .

وهناك نوعان من الجماهير :

١ — جمهور المصلحة Interest Public وهو جماعة من الناس يحركهم دافع اقتصادى مشترك . فرابطة تجار التجزئة هم جمهور تجمعهم مصلحة ، وكذلك الرابطة الأهلية لأصحاب المصانع ورابطة المستهلكين .

٢ — جمهور التطابق : Identification public

وهى جماعة من الأفراد يتحالفون مع قائد أو رمز ليتمتعوا بطريقة غير مباشرة بنجاح لا يتيسر لهم فى حياتهم الفردية .

الجماعات الأولية والثانوية :

أكد كولى C . H . coolley الفرق بين جماعة يعيش أعضاؤها معا ومن ثم يمكنهم أن يتفاعلوا ويستجيبوا أحدهم للاخر بطريقة مباشرة وجماعة لا يعيش أعضاؤها بعضهم مع بعض . وتنتمى الأسرة إلى النوع الأول ، بينما يكون أعضاء الحزب السياسى — حيث يقل اختلاط معظمهم بعضهم ببعض — جماعة ثانوية .

والطفل يتعلم أولا أن يتكيف مع الجماعات الأولية ، وبعد ذلك يتأثر بنفوذ الجماعات الثانوية طبقا لما يتطلبه من التماثل الاجتماعى ، ومقتضيات الحياة كما تظهر فى المواقف الاجتماعية التى تهيىء له فرصة الاجتماع بالآخرين هذا وقد تأثر بعض علماء النفس بأهمية الجماعة الأولية لدرجة تجعلهم ينظرون إلى المؤسسات الثانوية فى المجتمع على أنها امتداد وانعكاس للطابع الخاص بالأسرة . وعلى هذا الأساس كانت الدول الألمانية القديمة المستبدة ينظر إليها أحيانا على أنها امتداد للأسر الألمانية المستبدة .

ويمكن تلخيص الفرق بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية فيما يلى :

١ — أن الأفراد الذين تتكون منهم الجماعة الأولية تربطهم روابط قوية ، غالبا ما تكون روابط الدم أو القرابة أو الجوار .

٢ — أن عدد أفراد هذه الجماعات صغير بالنسبة للجماعات الثانوية .

٣ — أنه يتكون فى الجماعات الأولية وخاصة فى الأسرة ، العادات والتقاليد

والميول والاتجاهات الأولى ، وهذه كلها عوامل أساسية فى تكوين الشخصية .

٤ — أن التفاعل الاجتماعى يحدث فى الجماعات الأولية بطريقة مباشرة بعكس التفاعل فى الجماعات الثانوية التى تقـوم على أساس من التنظيم واللوائح المكتوبة .

الجماعة السيكولوجية :

ينتمى الفرد من الوجهة السيكولوجية إلى كل جماعة يشاطرها فى نشاطها وسلوكها ، ومن وجهة النظر هذه يجب أن تعرف عضوية الفرد فى جماعة بمقدار أهميتها له واستثارتها إياه لا إلى العوامل البيولوجية فالعضوية المنتجة لا تنبنى على أساس السلالة أو الجنس أو الخصائص الجسمية ولـكن على أساس ما يعانيه الشخص من خبرات وعلى ذلك فالفرد الذى يحتضنه وطن معين من الأوطان له تقاليده الخاصة وتراثه الثقافى الخاص وأجواؤه المتشابكة الأطراف والتى تميزه عن غيره من الأوطان ، أقول أن الفرد الذى يحتضنه هذا الوطن يسلك نفس السلوك الذى يميز أفراد هذا الوطن بصرف النظر عن أصله السلالى ، على أن مجرد وجود الشخص بجسمه فى وسط جماعة لا يعنى من الناحية السيكولوجية أنه عضو فى هذه الجماعة .

فمن الجائز أن نجد زنجيا نشأ فى وسط جماعة كلهم من البيض ، ومع ذلك قد لا يستطيع أن ينسجم ولا أن يتأثر بتلك المؤثرات الاجتماعية التى يتأثر بها الطفل الأبيض .

تعدد الجماعات المتداخلة :

تنقسم الجماعات بالنسبة للسلوك الاجتماعى للفرد إلى نوعين : الجزئية والـكلية:

وتتمثل الجزئية فى الجماعة التى تهيمن على جزء محدود من النشاط الاجتماعى للفرد . فانتساب الفرد إلى اندية عدة واشتراكه فى نشاط جماعات مختلفة هو فى جوهره انتساب واشتراك جزئى .

أما الـكلية فتتمثل فى سيطرة إحدى الجماعات سيطرة مطلقة على جميع نواحى الفرد حتى تفنى فيها شخصيته وتصبح الجماعة بمثلها العليا وبمبادئها

وبدستورها هى ما يحيا له ويجاهد فى سبيله . ومن أمثلة هـــذا النوع جماعة الفدائيين .

العوامل التى تؤثر على تماسك الجماعة :

تتميز بعض الجماعات بالتماسك والاستمرار أكثر من غيرها من الجماعات وأهم مميزات تكوين الجماعات :

الاستمرار : ومن عوامل استمرار الجماعة استقرارها . فالجماعة التى لها مكان معين تكون فى العادة اكثر استقرارا واستمرارا من غيرها . ومن الأساليب التى تضمن الاستمرار ثبوت الأشخاص ثبوتا نسبيا (استمرار مادى) وتعنى الجماعات بوضع اللوائح والقوانين وباعطاء الجمعيات صفة رسمية أو شبه رسمية عن طريق تسجيلها وربطها بهيئة لها قوتها واستمرارها (الاستمرار الشكلى) .

فكرة الجماعة : هى أن كل عضو من أعضاء الجماعة يجب أن يكون مدركا لطبيعة هذه الجماعة ومدركا لطريقة تنظيمها وتكوينها ، وأن يكون فاهما لدستور الجماعة والأغراض التى ترمى اليها ، والعلاقات التى تربط أفرادها بعضهم ببعض فإذا فهم العضو كل هذا فانه يمكنه أن يساهم فى نشاط الجماعة مساهمة جدية مستنيرة .

التصادم الخارجى : أى تصادم خارجى تواجهه الجماعة يؤدى بها إلى المغالاة وإلى التكتل لدفع الأذى المقبل ، فبالرغم مما كان فى داخل انجلترا من خلافات بين الأحزاب فإن هذه الخلافات زالت وحل محلها تكتل شامل ضد العدوان الألمانى. وللتعاون أثره فى تكوين الوحدة بين أفراد وقع عليهم (كمجموعة) اعتداء من مجموعة أخرى .

فالتصادم بين مجموعتين يكمل أثره التعاون بين أفراد المجموعة الواحدة .

التقاليد : لكل جماعة منتظمة تقاليد خاصة وطقوس مرعية وعرف قائم . وتتخذ التقاليد أشكالا كثيرة كالأعلام والشارات والملابس الخاصة والحفلات وأساليب السلوك كتحية الكشافة مثلا .

التنظيم : قوة الجماعة رهن بتوزيع العمل الداخلى توزيعاً يتفق ومواهب الأفراد وأهداف الجماعة . ويقوم بتنظيم الجماعة عادة وإعطاء تكوينها شكلا خاصاً قانون أو دستور يلتزمه الأعضاء ضماناً لتحقيق أغراضها .

الشعور بالنجاح : شعور أفرادالجماعة بأنهم قاموا كجماعة بعمل ناجح . فمن شأن النجاح فى العمل الجمعى أن يشعر كل فرد بقيمته . إذ يمكنه أن يفخر بانتمائه لجماعة لها أثر واضح لأن هذا يعاونه على الإحساس بالقوة .

المجتمع والأسس التى يقوم عليها :

أن المجتمع ما هو إلا جماعة من الأفراد يعيشون ويعملون جميعاً على مدى طويل . فيجعل ذلك منهم جماعة منظمة تفكر فى نفعها وتميز بين كيانها وكيان الجماعات الأخرى على أساس كونها وحدة اجتماعية ذات حدود ومعالم .

ومن أهم الأسس التى يقوم عليها المجتمع :

أولا : أن المجتمع يقوم على جهد كل فرد من أفراده لتحقيق الكفاية عن طريق ارتباطه بالأفراد الذين يسعون إلى إشباع حاجاتهم بطرق تشبه طرقه فى سعيه إلى تحقيق هذه الحاجة .

فالفرد لا ينتمى إلا لمجتمع يشعر فيه بالزمالة ، ويحقق بين أفراده حاجاته ومطالبه عن طريق علاقات تقوم على لغة مشتركة وعادات وتقاليد وتراث ثقافى مشترك .

فالمجتمع — إذن — يقوم على التوافق المتبادل فى سلوك الأفراد مما يحول صفتهم العددية إلى جماعة عضوية ثقافية وظيفية .

ثانياً : أن الأفراد فى تفاعلهم وقيامهم بجهود مشتركة لتحقيق حاجاتهم ، يعملون على تنظيم هذه الجهود عن طريق ما نسميه بالتنظيم الاجتماعى .

وقد يكون هذا التنظيم غامضاً أو غير متبلور أول الأمر وقد يكون على مستوى لا شعورى . غير أنه كلما اتضحت التقسيماتواستقرت ، ازداد التشابك

المتبادل بين أفراد الجماعة وأدركوا أدوارهم ومسئولياتهم نتيجة خبراتهم فى هذا التنظيم الاجتماعى ، ونمت المستويات التى تحدد سلوكهم وتطور هذا التنوع فى العضوية الاجتماعية والتكوينات الجماعية على نحو من التفصيل . وخلال هذا التنظيم تنمو القيم والمعايير والاتجـــاهات المشتركة والأهداف المشتركة والمعتقدات المشتركة .

ثالثاً : أن كل مجتمع يتضمن تشكيلات من الأنماط التى ينبغى أن يكون عليها السلوك بين الأفراد والجماعات الذين يكونون المجتمع ، وجوهر هذه الأنماط يمكن أن نسميه (بالتجارب) ومثال ذلك النمط الذى يحدد العلاقة بين الأخوة . فالعلاقة بين الأخ الكبير والأخ الصغير تختلف من وجهة نظر كل منهما على أساس الدور الذى يقوم به . ومع ذلك فإنها علاقة متكاملة تتحدد بنمط اجتماعى عام .

فالأخ الكبير مثلا عليه أن يحمى الصغير ويرعاه وعلى الصغير طاعة الكبير واحترامه . والعلاقة هنا مكملة لبعضها البعض ، وتتمخض عن فوائد لكل منهما ، وتشكل حقوق كل منهما وواجباته كذلك . وقد يقوم الأخ الكبير بعمل يعتبر واجباً نحو أخيه الصغير ، وقد يقوم هذا بدور عمل اخر لشخص اخر يقدم خدمة لأخيه الكبير ، وذلك كله فى ضوء إطار عام من العلاقات التى يتخذ فيها كل منهم دوراً يتحدد بما يعنيه من حقوق وواجبات .

رابعاً : أن نشأة الفرد فى الجماعة وارتباطه بها ونموه فى إطارها يؤدى به إلى أن يتبنى مستوياتها وسلوكها والدفاع عنها . فتفكيره فى نفسه تفكيراً سليما يؤدى بالضرورة إلى تفكيره السليم فى جماعته حيث أن مجال إدراكه يتأثر بنوع العلاقات الاجتماعية التى ينشأ فيها — فالهجوم على جماعته يعتبر هجوماً على ذاته ، ويختلف نوع استجابته لهذا الهجوم بدرجة مايشعر به من تهديد لنفسه ولجماعته . ومن ذلك أن استجابته للهجوم الذى يصدر من شخص خارجى ينتمى إلى جماعة أخرى يظهر فى صورة أقوى .

وعلى هذا النحو نجد أن نقد الأجانب للمجتمع يقابل بامتعاض عام من جانب أفراد المجتمع حيث أن تهديد كيان الجماعة يعتبر تهديداً لذات الفرد .

أهداف المجتمع الأساسية :

١ ــ رفع مستوى المعيشة ــ يجب أن يرتفع مستوى المعيشة لجميع أفراد الشعب حتى تتحقق الحاجات الإنسانية الأولية لكل فرد ، ويجب أن يتم هذا التحقيق على أقل تقدير على المستوى الذى تقتضيه الكرامة الإنسانية .

٢ ــ نشر العدالة الاجتماعية ــ والعدالة الاجتماعية هى أن يكون أمام كل فرد نفس الفرص التى تتاح للأفراد الآخرين فالخدمات التى تؤديها الدولة يجب أن يفيدمنها المجتمع بفرص متساوية ، هذه الخدمات قد تكون صحية أو تعليمية أو اجتماعية .

٣ ــ تحقيق الديمقراطية ــ ومعناها أن يتمكن كل فرد من إبداء رأيه فى حرية وصراحة فيما يجرى حوله من أمور .

٤ ــ الإيمان بالله والوطن والذات ــ وينطوى تحت هذا على سبيل المثال إيمان أبناء جمهورية مصر العربية بعروبتهم وتقديرهم لأنفسهم ولعاداتهم وتقاليدهم ، وعدم الرضا بغيرها لأنفسهم .

٥ ــ الشعور بالأمن والطمأنينة : ويتحقق هذا الهدف نتيجة تحقيق الأهداف السابقة ، فإذا ارتفع مستوى المعيشة وتحققت العدالة الاجتماعية وسادت الديمقراطية وشاع الايمان بالله والوطن والذات تحقق الهدف الخامس وهو الشعور بالأمن والطمأنينة .

ديناميكية الجماعة

استخدم اصطلاح ديناميكية الجماعة Group Dynamics منذ الحرب العالمية الثانية ، وتعددت معانيه وأوجه استخدامه بازدياد انتشاره .

وعلم ديناميات الجماعة هو علم السلوك الجماعى ، أى أنه العلم الذى يبحث فى خصائص الجماعة بقصد الوصول إلى فهم لطبيعة الحياة الجماعية . إلا أن الباحث فى ديناميات الجماعة لا يجرى بحثه فى فراغ اجتماعى ، وهو لا يكتفى بالوصول

إلى فهم نظرى شامل متعمق ، بل إن من واجبه أن يبحث فى أحسن الطرق لتحويل النتائج النظرية إلى أساليب عملية فى مجال العمل الجماعى .

ويرى ليفين أن الجماعة تتميز بأنها « كل ديناميكى » :

ويعنى هذا فى نظره أن التغير فى حالة أى جزء من أجزاء الجماعة يؤدى إلى تغير فى أى جزء اخر . فمثلا إذا أردنا أن ندرس ديناميات جماعة كالعائلة أمكن أن نبحث مشكلات تغير بنائها وسلوكها فى ظروف مختلفة مثل التهديد الخارجى والتغير فى علاقات السلطة نتيجة لوفاة عضو من العائلة أو انضمام عضو اخر لها بالزواج . كما يمكن أن نبحث كيفية اتخاذ العائلة لقراراتها جماعياً ، وقيامها بعملها تعاونياً ، واشتراكها كجماعة فى اللعب والترفيه . وندرس هذه المشكلات وغيرها عن طريق قياس علامات الجمود والمرونة فى العلاقات الجماعية ، والجو الاجتماعى ، ومراكز السلطة ، وعن طريق الربط بين كل هذه العلامات .

وقال هيراقليطس الفيلسوف اليونانى :

« العالم فى تغير مستمر كمجرى النهر ، لذا فالتغير هو قانون الوجود أما السكون فهو العدم » .

العملية الاجتماعية والجماعة الأولية :

تدور كل أفكار كولى عن السلوك الفردى والجماعى حول مفهوم الجماعة الأولية . ويعتقد أن العمليه الاجتماعية والضبط الاجتماعى وهما عاملان أساسيان فى كل ديناميات الجماعة — يوجدان فى التفاعلات وجها لوجه — وهى التى تميز الجماعة الأولية . ففى هذه الجماعة يكون الفرد شديد الحساسية لآراء وأفعال الآخرين . ويتعلم الفرد أن يخبر خبرات الآخرين فى الجماعة ، وأن ينظر إلى نفسه خلال الاشخاص الآخرين أو أن يلعب دوره ، ويكتسب الفرد بذلك المشاركة الوجدانية .

والجماعة الأولية فى نظره بناء سيكولوجى يتمثل فى هذا الشعور بالتوحد

الوثيق ، وسلوك الفرد يتحدد عن طريق البناء السيكولوجى للجماعة أكثر مما يتحدد ببناء شخصيته .

وخلاصة الرأى عنده أن الجماعة الأولية هى التى تضبط السلوك وتغير الاتجاهات وتؤدى إلى قرارات مشتركة . ويتحقق النظام الاجتماعى عن طريق تأدية الأدوار ، وإدراك مشاعر وأفكار الآخرين والإجماع عن طريق الحل الجماعى للمشكلة .

تأثيرات ديناميكية الجماعة

استقرار الجماعة أو تغيرها وسكونها أو حركتها ، وجمودها أو تطورها كلها ظواهر تعتمد فى جوهرها على العوامل المختلفة التى تؤثر فى الجماعة وتسيرها نحو غايتها الخيرية أو تجنح بها بعيدا عن طريقها السوى . وتهيمن على الجماعات المختلفة ديناميكية تنمو بها نحو التغير أثناء تكوين تلك الجماعات أو أثناء إعادة ذلك التكوين . وتنشأ هذه الديناميكية من التوتر الداخلى . وينشأ التوتر من الصراع بين الأفراد وبين العشيرات (الجماعة الصغيرة) وينشأ الصراع من أمور أهمها تعارض اتجاهات وأهداف أفراد الجماعة الواحدة ورغبة البعض فى الفوز بالزعامة وثورة البعض الآخر على الزعيم القديم أو الزعيم الجديد ، ومغالاة الزعيم فى بسط سلطانه أو رغبته فى زيادة بسط هذا السلطان ، وصراع العشيرات لاختلاف اتجاهاتها النفسية وتعارض أهدافها القريبة والبعيدة .

وهكذا يؤدى التوتر إلى فقدان اتزان قوة المجال الداخلية ، وتلك بدورها تؤدى إلى تغيير تكوين الجماعة . وينمو هذا التغير نحو إعادة الاتزان ، وذلك بإعادة توزيع القوى توزيعا يكفل للجماعة الاستقرار .

ويتخذ التغيير أساليب وطرقا مختلفة فى محاولته المتجددة لاعادة الاستقرار الكلى :

(ا) تغيير العشيرات تغييراً يسفر عن اختفاء العشيرات المعارضة ، وظهور الأنواع الجديدة التى تتفق وخواص المجال العام للجماعة .

(ب) إبعاد بعض الأفراد إبعاداً يساعد مجال الجماعة على الاستقرار .

(جـ) تغيير الزعماء حتى يستقر الأمر لزعيم يتفاعل تفاعلا صحيحاً مع مقومات المجال العام .

(د) تغيير الأهداف وإعادة تنظيمها وتكوينها بما يتفق ونظم الجماعة .

فاستقرار الجماعة يخضع لديناميكية نوعين مختلفين من أنواع القوى :

ـــ تعمل الأولى على تماسك أفراد الجماعة وعلى تنظيم العلاقات الاجتماعية ـــ داخل المجال ـــ تنظيما يتفق وأهداف وحاجات واتجاهات الجماعة .

ـــ وتعمل الثانية على تشتيت شملها وانحلال تماسكها وتوتر وصراع علاقاتها . فبقاء الجماعة ، إذن رهن بازدياد قوى التماسك . وتشتتها رهن بضعف هذه القوى ورهن أيضا بازدياد قوى الانحلال .

ويذهب كانتريل H. Cantril فى بحثه بعنوان (شدة الاتجاه) :

إلى أن قوة الجماعة الصغيرة التى يسيطر عليها اتجاه شديد حاد ، أبلغ أثراً فى ديناميكية المجتمع فى الجماعة الكبيرة التى يسيطر عليها نفس الاتجاه .

(ملاحظة : تطلق كلمة عشيرة Subgroup على الجماعة الصغيرة) .

وأخيراً أمكن من الناحية التجريبية دراسة ديناميكية الجماعات الصغيرة وأثرها على الأفراد وإلى محاولة عزل الصفات المختلفة المميزة لتلك الجماعات والعوامل المتباينة التى تؤثر فيها ، وتنظيمها تنظيما يتفق ومنطق المجال الديناميكى ، وإلى قياس ديناميكية تلك الجماعات والاستعانة بنتائج تلك التجارب فى معرفة أنجح أساليب العلاج النفسى الجماعى ، وفى استكشاف العوامل المؤثرة فى الإنتاج الجماعى . وأثر إدراك الأفراد لهدف الجماعة فى زيادة هذا الإنتاج وأثر الجماعة فى إدراك الفرد وتفكيره وحكمه على المعايير المختلفة ، وفى معرفة أقرب وأنجح الوسائل لتكوين الجماعات القوية .

أنواع العلاقات

أولا — العلاقات العرضية : يتصف هذا المستوى من العلاقات بخلوه من المؤثرات الثابتة المحدودة وهذه تمثل العلاقات العابرة . ومن أمثلتها الحشد الضخم من الناس الذى يسير فى الطريق العام ولا يكاد يحس أفراده بأية صلة تجمع بينهم و بين بعضهم بعضا .

ثانيا — العلاقات الطولية : قوام هذا النوع من العلاقات اعتماد كل فرد على آخر اعتمادا كليا أو ما يقرب من الاعتماد الكلى . ومن امثلتها تطفل الأطفال على آبائهم والشحاذين على المحسنين والقصوص على ضحاياهم . وقد تكون هذه الصلة الطفيلية قريبة إلى النفس عزيزة عليها كعلاقة الآباء بأبنائهم .

ثالثا — العلاقات العامة : ويبدو هـــذا المستوى فى كل علاقة عابرة لا تنطوى على حق لفرد أو واجب عليه ، وتقوم علاقات هذا النوع على بعض الاتجاهات النفسية ، ومن أمثلتها العلاقات التى تنشأ بين زملاء الرحلة خلال أحاديثهم العابرة وبين نزلاء الفندق الواحد حينما يتعاونون وبين رواد المقهى حينما يتناقشون .

رابعا — العلاقات المتبادلة : يقوم هذا المستوى من العلاقات على بعض الاتجاهات النفسية المتبادلة التى تؤدى إلى المنفعة المشتركة ، وتتميز بنوع خاص من التفاهم والارتباط بين الأفراد ومن أمثلتها علاقة الخادم برب البيت وعلاقة العامل بصاحب المصنع .

خامسا — العلاقات الاجتماعية : يبلغ مستوى العلاقات ذروته وغاية مرتقاه حينما يصل إلى المستوى الاجتماعى الصحيح و العلاقات الاجتماعية بأنواعها المختلفة هى موضوع دراسة علم النفس الاجتماعى وأنواعها :

١ — تأثر الفرد بفرد آخر : ومن أمثلة ذلك أن يخفى الطفل لعبته حينما يرى أخاه ، كأن تصاحب شخصا ما من اقرانك ولا تميل إلى صحبة شخص آخر .

٢ ــ تأثر الفرد بالجماعة : عندما يهتف الفرد مع الجمهرة الثائرة صائحا بحياة أو سقوط لنظام ما ، وعندما يدفعه التنافس وهو يعمل مع رفاقه إلى أن يزيد من إنتاجه ليتفوق عليهم جميعا ، فهو يسفر بذلك عن أثر الجماعة فى سلوكه وعن مدى تأثره هو بتلك العوامل الجماعية .

٣ ــ تأثر الجماعة بالفرد : تتأثر الجماعة بالفرد (وتؤثر فيه إلى حد ما) حينما تنقاد وراء زعيم يدعو إلى فكرة خاصة ، وحينما تؤمن برسالة هذا الزعيم فتندفع وراءه لتحقيق هذه الأهداف وتلك المثل العليا .

٤ ــ تأثر الفرد بالثقافة وتأثيره فيها : الثقافه بمعناها الدقيق تشمل كل مقومات المجتمع من أنظمة اقتصادية وقوانين وأديان وفن وخلق وغير ذلك من المقومات . هذا وتختلف درجة تكامل هذه العناصر من مجتمع لآخر . وهى فى تكاملها تنحو نحو انشاء قيم ومعايير واضحة الحدود قوية الآثار . وتؤثر تلك القيم والمعايير فى سلوك الفرد وفى حياة الجماعات وتتأثر بهما . والثقافة هى محصلة التفاعل القائم بين الفرد والمجتمع . والبيئة هى ثمرة علاقة الفرد بالفرد والزمن وبالمكان وبالكون .

٥ ــ شبكة العلاقات الاجتماعية : يمكن تمثيل علاقات الفرد بالفرد والفرد بالجماعة بشبكة من الخطوط تمتد بين أفراد الجماعة .

قياس العلاقات الاجتماعية

يرجع تاريخ هذه الطريقة إلى عام ١٩٣٤ عندما نادى مورينو Morino بأن من الممكن أن ندرس التكوين الاجتماعى لأى جماعة بمعرفة عدد العلاقات الموجبة والعلاقات السالبة بين أفراد هذه الجماعة ، وأن من الممكن دراسة مركز كل فرد فى الجماعة التى ينتمى إليها بتحليل علاقاته المتبادلة بباقى الأفراد .

فإذا وجه لكل فرد من أفراد الجماعة سؤال مثل : أذكر اسم الزميل الذى تفضل أن يجلس بجوارك عند تناول الطعام . أو أذكر اسم الزميل الذى تختاره ليكون رئيسا لرحلة تقوم بها الجماعة . فإنه من الممكن بعد الحصول على

الإجابات كلها وتحليلها أن نقف على العلاقات الاجتماعية التى تسود الجماعة — وأن نعرف ما فيهـــا من تكتلات أو احزاب وما فيها من علاقات التنافر أو التقارب ، ويمكن بعد ذلك معرفة أسباب هذه العلاقات عن طريق تحليل العوامل التى أدت إلى هذه الأنواع من التكوينات .

ومن الممكن أن يطبق هذا الاختبار على أنواع مختلفة من الجماعات بحسب الهدف الذى ترمى إليه . فمن الممكن تطبيقه لدراسة العلاقات الاجتماعية بين تلاميذ أحد الفصول المدرسية فنسأل كل تلميذ مثلا : أى زملائك تحب أن يشترك معك فى الجزء العملى من المشروع الدراسى ؟ أو دراسة العلاقات بين تلميذات فصل للبنات الكبار فنسأل مثلا :

أى زميلاتك تفضلين أن تلازمك عند العمل فى المهنة بعد انتهاء دراستك ؟

ومن الممكن تطبيق الطريقة ذاتها فى دراسة العلاقات السائدة بين العمال فى مصنع لمعرفة أى الأفراد يحظى بثقة زملائه ، وأيهم يعتبر مصدراً لمتاعبهم مثلا . كما أن الطريقة قد طبقت أيضا فى دراسة جماعات القوات المحاربة فى الجيش لمعرفة أى الأفراد منهم يصلح لقيادتهم ، وأيهم يعتبر موضع كراهية الأغلبية . . إلى غير ذلك .

والطريقة التى تتبع عادة فى معالجة النتائج هى أن يعبر بالرسم التوضيحى عن أفراد الجماعة بدوائر أو مثلثات صغيرة ، وأن يعبر عن العلاقات مثل القبول والحب وغيرها . بخطوط وأسهم تشير إلى الفرد المفضل . وبعد تمثيل جميع الردود بالرسم نحصل على صورة كاملة للتفاعلات المؤثرة فى تكوين الجماعة ، ويسمى هذا الرسم بالسوسيوجرام، وليس هناك طريقة معينة لرسم السوسيوجرام. والسوسيوجرام وسيلة لقياس التجاذب والتنافر داخل أفراد الجماعة .

الشروط التى يجب أن تتوافر فى الاختيار السوسيومترى :

الاختيار السوسيومترى — كما ذكرت سابقا — أداة لتقدير التجاذب والتنافر داخل جماعة معينة . وهو يشمل عادة كل أعضاء الجماعة . فيطلب من كل منهم أن يختار — على انفراد — عددا من الأشخاص الآخرين فى الجماعة،

الذين يود أن يشاركهم فى نشاط معين ، وعددا من الأشخاص الذين لا يود أن يشاركهم فى هـــذا النشاط . وأهم الشروط التى يتطلبها مورينو عادة فى الاختيار السوسيومترى هى :

١ ــ توضيح حدود الجماعة : فيجب أن يفهم الاشخاص طبيعة الجماعة .

٢ ــ السماح للأشخاص باختيار أو نبذ عدد غير محدود من الأشخاص كما يشاءون .

٣ ــ تحديد محل الاختيار أو النبذ : أى تحديد النشاط الذى يود الشخص أن يشارك أو لا يشارك فيه الاشخاص الآخرين ، كما يجب أن يكون هذا النشاط ذا معنى ودلالة بالنسبة للأشخاص .

٤ ــ استخدام نتائج الاختيار السوسيومترى فى اعادة بناء الجماعة . فيجب أن يعرف الاشخاص أن اختياراتهم الايجابية أو السلبية سوف تلعب دورا هاما فى تحديد الاشخاص الذين يشاركونهم فى النشاط المعين .

٥ ــ كفالة السرية التامة فى الاختيار .

٦ ــ ملاءمة الأسئلة المستخدمة لمستوى فهم أعضاء الجماعة . وتكون طريقة الاستبيان (الاستفتاء) عادة مناسبة للراشدين وللاطفال الكبار ، بينما يكتفى فى حالة الأطفال الصغار الذين يجدون صعوبة فى الكتابة بالتعبير الشفهى عن اختياراتهم . أما بالنسبة للأطفال الصغار جدا ، والذين يعجزون عن التفاعل اللغوى بدرجة مناسبة ، فان الأسئلة السوسيومترية قد تكون عديمة المعنى بالنسبة لهم . وقد يكون من الاجدى استخدام وسائل أخرى مثل الملاحظة .

الاختيار السوسيومترى ومنهج تحليل التفاعل :

تعتبر سوسيومترية مورينو محاولة للكشف عن شبكة العلاقات بين الأفراد داخل الجماعة وقياسها . فبدلا من النظر إلى الجماعة على أنها تمثل قوة مفردة ، يحاول المنهج السوسيومترى الكشف عن الروابط بين الأعضاء ورسم بناء الجماعة على أساس هذه الروابط .

ونلاحظ أن احدى النتائج التى أدت إليها سوسيومترية مورينو هى ارجاعها دراسة العمليات الجماعية إلى الأساس الفردى . فبدلا من النظر إلى الجماعة نظرة سوسيولوجية (اجتماعية) خارجية كما لو كانت وحدة كلية ، تجد أن منهج مورينو يؤدى حتما إلى الاهتمام بالطريقة التى ينظر بها الفرد إلى الجماعة ، كما أنه نظرا لأن صورة الجماعة هى علاقات بين أفراد ، فان ذلك يؤدى أيضا إلى الاهتمام بدراسة الادوار فى الجماعات وأنماط التفاعلات بين الأعضاء .

أنواع العلاقات التخطيطية الاجتماعية

(أ) علاقات مزدوجة متبادلة : وتبدو فى التبادل المزدوج القائم بين فردين كمثل (١ ، ٢) ولا شك أن انتشار هذا النوع من العلاقات يؤدى إلى انعدام التماسك الداخلى للجماعة وتكثر هذه العلاقات فى المرحلة الأولى من النمو الاجتماعى للأطفال .

(ب) علاقات مركزية : وتبدو فى اختيار الجماعة لفرد واحد منها كمثل اتجاه علاقات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ نحو ٧ وتسفر هـــذه العلاقات عن زعامة ٧ .

(ج) علاقات متتابعة : وتبدو فى تتابع اختيار الأفراد كمثل ١٣ ، ١١ ، ٧ ويساعد هذا التتابع على انتشار الاشاعات بسرعة داخل الجماعة . فنجد ١٣ ينقل اختياره إلى ١١ وهذا ينقلها بدوره إلى ٧ وهكذا يستمر سريان الاشاعة .

(د) علاقات دائرة : وهى كالمتتابعه ، تبدأ من فرد إلى فرد آخر ، لكنها تختلف عن المتتابعة فى أنها تعود ثانية لنفس الفرد الذى منه بدأت كمثل ٥ ، ٦ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ولذلك فهى قد تساعد على قياس نسبة المبالغات التى يمتصها الخبر من الأفراد وهو يستطرد فى انتشاره . ذلك لأن مصدر الاشاعة يصبح بعد انتشارها هدفا لها فتصل إلى اسماعه بعد اكتمال ذروتها .

(هـ) علاقات منفردة : وتبدو فى فشل الفرد فى اجتذاب الآخرين نحوه فى

أية صورة كانت كمثل ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ . وهؤلاء أفراد يعيشون على هامش الجماعة ، يختارون الآخرين ولا يختارهم أو يرغب فيهم أحد . وهم لذلك يسفرون عن قصور ونقص فى التكيف الاجتماعى .

وقد يؤدى هذا الفشل إلى لون خاص من ألوان الجنوح .

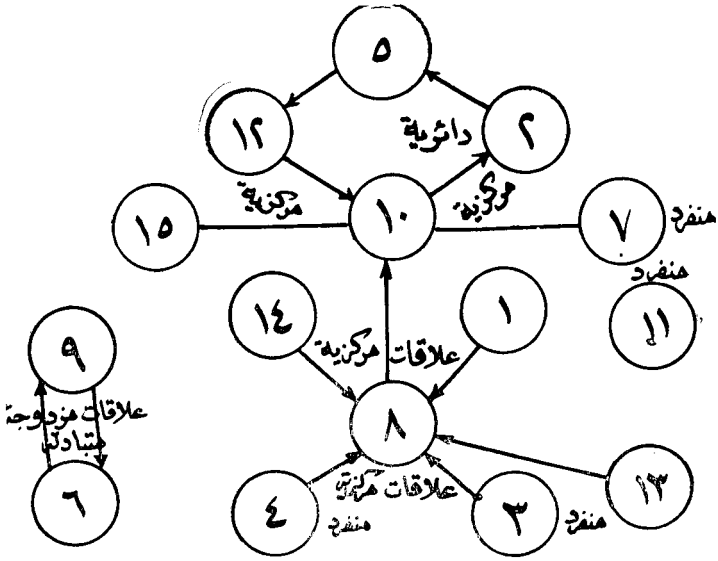

رسم يوضح أنواع العلاقات التخطيطية الاجتماعية

مراجع علم النفس الاجتماعى

أولا ــ المراجع العربية :

١ ــ حسن شحاته سعفان ، العلاقات الاجتماعية ــ ماهيتها وفلسفتها والقياس الاجتماعى ، ــ الطبعة الثانية (١٩٥٧ ــ ١٩٥٩) .

٢ ــ حسنين عبد القادر ، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، الطبعة الأولى ١٩٥٧ .

٣ ــ سيد أحمد عثمان ، علم النفس الاجتماعى التربوى ، ــ مكتبة الانجلو المصرية الجزء الأول ــ يناير ١٩٧٠ .

٤ ــ صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ، المدخل إلى علم النفس الاجتماعى ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

٥ ــ رشدى فام منصور واخرين ، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ، الطبعة الثانية ١٩٦١ .

٦ ــ فؤاد البهى السيد ، علم النفس الاجتماعى ، ــ الطبعة الأولى مارس ١٩٥٤

٧ ــ عبد العزيز عزت ، السلطة فى المجتمع ، ١٩٥٥ من مؤلفات الجمعية المصرية لعلم الاجتماع .

٨ ــ محمد عماد الدين اسماعيل ، المنهج العلمى وتفسير السلوك ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢

٩ ــ محمد مصطفى زيدان ، السلوك الاجتماعى للفرد وأصول الارشاد النفسى ، الطبعة الأولى ١٩٥٠ ــ مكتبة الانجلو المصرية .

١٠ ــ محمد لبيب النجيحى ، الأسس الاجتماعية للتربية ، ــ مكتبة الانجلو الطبعة الاولى ١٩٦٤ .

١١ ــ مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، ــ الانجلو المصرية ١٩٦٤

١٢ ــ لويس كامل مليكه ــ سيكولوجية الجماعات والقيادة ، (الجزء الاول والثانى (الطبعه الثانية ١٩٦٣) والجزء الثالث (الطبعة الاولى ١٩٦٤)

ثانياً : الأجنبية

1 — Aseh. S.. « Social Psychology » N. y .
Prentce - Hall, I652 .

2 — Charters, W — W —, and Cage , N L « Readings in
The Socisl Psych ology of Educetion » Bostou · Allyn
and Bacon. 1963 .

3 — Combs, A . W . and Snygg, D. Iudividual · Behavior N - y -
Hsvpes 1659 .

4 — Klabbas J . T . « The Effects au muns media » N y — The
Free Press 1961 .

5 — Lampertf, W w and Lambert , W E « Social Psychology » .
Eug Lewood Cliffs New ſerse = 1964 .

6 — Newcomb, T · « Social Psychology » N · y Holt, 1950 ·

7 — Sherif, M — aud Sheriſ , C — « An outlitne of Social
Psychology » N — y Harpeer 1659 .

8 — Sargant, S - S and Willia mson R·C · « Social Psy Chology »
N y Ronald ,1958 .